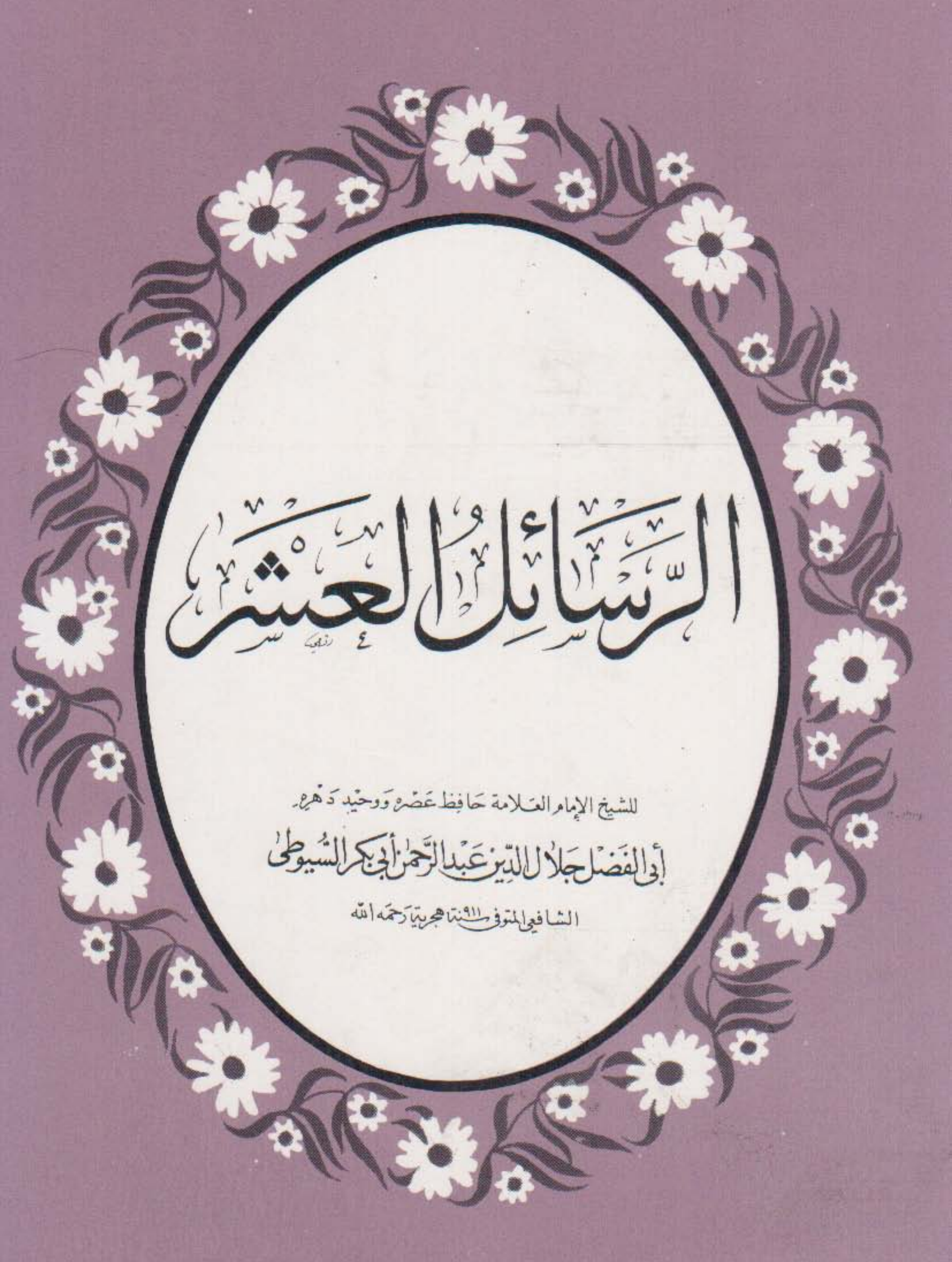


دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بِسم الله الرّحمن الرّحيم

انباه الاذكياء
في
حياة الانبياء عليهم السلام

قال المؤلف ـ رحمه الله ونفع له ولسائر المسلمين آمين اللهم آمين: الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى؛ وقع السؤال أنه قد اشتهر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حي في قبره، وورد أنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قال: ما من أحد يسلّم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام؛ فظاهره أن مفارقة الروح له في بعض الأوقات، فكيف الجمع؟ وهو سؤال حسن يحتاج إلى النظر والتأمل، فأقول: حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً، لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك، وقد ألف الإمام البيهقي رحمه الله جزءاً في حياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم.

فمن الأخبار الدالة على ذلك:

ما أخرجه مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ ليلة أسري به مرّ بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر بقبر موسى عليه السلام وهو قائم يصلي فيه.

وأخرج أبو يعلى في مسنده والبيهقي في كتاب حياة الأنبياء عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون».

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن يوسف بن عطية قال: سمعت ثابت البناني رحمه الله يقول لحميد الطويل: هل بلغك أن أحداً يصلي في قبره إلا الأنبياء؟ قال: لا.

وأخرج أبو داود والبيهقي عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليَّ الصلاة فيه، فإن صلاتكم تعرض عليّ، قالوا: يا رسول الله! وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت[1] ـ يعني بليت ـ فقال: إن الله حَرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء».

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان والأصبهاني في الترغيب، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى عليَّ عند قبري سمعته، ومن صلى عليَّ غائباً بلغته».

وأخرج البخاري في تاريخه عن عمار رضي الله عنه: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن لله تعالى ملكاً أعطاه أسماء الخلائق قائم على قبري، فما من أحد يصلي عليَّ صلاة إلا بلغنيها».

وأخرج البيهقي في حياة الأنبياء والأصبهاني في الترغيب عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى عليَّ مائة في الجمعة وليلة الجمعة قضي له مائة حاجة: سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا، ثم وكل الله بذلك ملكاً يدخله عليّ في قبري كما يدخل عليكم الهدايا: إن علمي بعد موتي كعلمي في الحياة». ولفظ البيهقي: يخبرني من صلى عليّ باسمه ونسبه فأثبته عندي في صحيفة بيضاء.

وأخرج البيهقي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين

---

(١) أورد صاحب مجمع بحار الأنوار شرحاً لمعنى أرمت: أي بليت، ارم المال: إذا فني، وأرض أرمة لا تنبت شيئاً قال الخطابي: أصله أرممت أي بليت وصرت رميماً فحذف إحدى الميمين.

يدي الله سبحانه وتعالى حتى ينفخ في الصور». وروى سفيان الثوري في الجامع قال: قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب قال: ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع..

قال البيهقي: فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء، يكونون حيث ينزلهم الله تعالى، ثم قال البيهقي: ولحياة الأنبياء بعد موتهم شواهد ـ فذكر قصة الإسراء في لقيه جماعة من الأنبياء عليهم السلام وكلمهم وكلموه.

وأخرج حديث أبي هريرة في الإسراء وفيه: وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي! وإذا رجل ضرب جعد[1] كأنه من رجال شنوءة! وإذا عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ قائم يصلي! وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي! أشبه الناس به صاحبكم ـ يعني نفسه ـ فحانت الصلاة فأممتهم».

وأخرج حديث: إن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، وقال: هذا يدل أيضاً على أن الله رد على الأنبياء أرواحهم وهم أحياء عند ربهم كالشهداء، فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا فيمن صعقوا؛ ثم لا يكون ذلك موتاً في جميع معانيه إلا في ذهاب الاستشعار ـ انتهى.

وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «والذي نفسي بيده لينزلن عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ ثم لأن قام على قبري فقال: يا محمد! لأجبته[2]».

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن سعيد بن المسيب قال: لقد رأيتني ليالي الحرة[3] وما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيري، وما يأتي وقت صلاة إلا وسمعت الأذان من القبر.

(١) سياق المعنى يفيد جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه ويحتمل أن يكون جعودة الشعر.

(٢) بهامش المطبوع: لأجبينه.

(٣) الحرة أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة وشبهت بها الليالي رمزاً إلى الأيام السود التي نهبت بها المدينة من عسكر يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ.

وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن سعيد بن المسيب قال: لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيام الحرة حتى عاد الناس.

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن سعيد بن المسيب أنه كان يلازم المسجد أيام الحرة والناس يقتلون، قال: فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذاناً يخرج من قبل القبر الشريف.

وأخرج الدارمي في مسنده قال: أخبرنا مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقم، وإن سعيد بن المسيب لم يبرح مقيماً في المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة[1] يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فهذه الأخبار دالة على حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء.

قد قال الله تعالى في الشهداء: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾[2]، والأنبياء أولى بذلك، فهم أجل وأعظم، وقلّ نبي إلا وقد جمع مع النبوة وصف الشهادة فيدخلون في عموم لفظ الآية.

وأخرج أحمد وأبو يعلى والطبراني والحاكم في المستدرك والبيهقي في دلائل النبوة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لأن أحلف تسعاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل قتلاً أحب إليّ من أن أحلف واحداً أنه لم يقتل، وذلك أن الله اتخذه نبياً واتخذه شهيداً.

وأخرج البخاري والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في مرضه الذي توفي فيه: «لم أزل أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم».

---

(١) الصوت الخفي الغير مفهوم.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٦٩.

فثبت كونه صلى الله عليه وآله وسلم حياً في قبره بنص القرآن إما من عموم اللفظ، وإما من مفهوم الموافقة، قال البيهقي في كتاب الاعتقاد[1]: الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء.

وقال القرطبي في التذكرة[2]، في حديث الصعقة نقلاً عن شيخه: الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا؛ وإذا كان في الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى.

وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء، وقد رأى موسى قائماً يصلي في قبره، وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يرد السلام على كل من يسلّم عليه - إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم، وإن كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامته من أوليائه - انتهى.

سئل البارزي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هل هو حي بعد وفاته؟ فأجاب أنه صلى الله عليه وآله وسلم حي.

قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الفقيه الأصولي شيخ الشافعية في أجوبة مسائل إنجاز مبين: قال المتكلمون المحققون من أصحابنا: إن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم حي بعد وفاته، وإنه يبشر بطاعات أمته ويحزن بمعاصي العصاة منهم، وإنه تبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته؛ وقال: إن الأنبياء

(١) أورد صاحب كشف الظنون تعريفاً فقال: كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي مات سنة ثمان وخمسين وأربع مائة، وهو مرتب على أبواب.

(٢) ذكر في كشف الظنون تذكرة القرطبي الشيخ المحقق شمس الدين محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري الأندلسي مات سنة ٦٧١ هـ، وكتابه مشهور جمع فيه من كتب الأخبار والآثار ما يتعلق بذكر الموت والموتى والحشر والجنة والنار والفتن والأشرار، وبوبه أبواباً.

لا يبلون، ولا تأكل الأرض منهم شيئاً، وقد مات موسى ـ عليه السلام ـ في زمانه وأخبر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أنه رآه في قبره مصلياً، وذكر في حديث المعراج أنه رآه في السماء الرابعة، وأنه رأى آدم ـ عليه السلام ـ في السماء الدنيا، ورأى إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقال له: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح! وإذا صح لنا هذا الأصل قلنا: نبينا عليه الصلاة والسلام قد صار حياً بعد وفاته، وهو على نبوته ـ وهذا آخر كلام الأستاذ.

وقال الحافظ شيخ السنة أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد ما قبضوا ردت أرواحهم، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، وقد رأى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم جماعة منهم وأمَّهم في صلاة، وأخبر ـ وخبره صدق ـ أن صلاتنا معروضة عليه، وأن سلامنا يبلغه، وأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء؛ قال: وقد أفردنا لإثبات حياتهم كتاباً، قال: وهو بعد ما قبض نبي الله ورسوله وصفيه وخيرته من خلقه صلى الله عليه وآله وسلم. اللهم! أحينا على سنته، وأمتنا على ملته، واجمع بيننا وبينه في الدنيا والآخرة! إنك على كل شيء قدير ـ انتهى جواب البارزي.

وقال الشيخ عفيف الدين اليافعي: الأولياء يرد عليهم أحوال يشاهدون فيها ملكوت السموات والأرض وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات، كما نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى موسى عليه السلام في قبره، قال: وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي؛ قال: ولا ينكر ذلك إلا جاهل. ونصوص العلماء في حياة الأنبياء عليهم السلام كثيرة فلنكتف بهذا القدر.

فصل

وأما الحديث الآخر فأخرجه أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه والبيهقي في شعب الإيمان من طريق أبي عبد الرحمن المقرىء[1] عن حيوة بن شريح عن

(١) عبدالله بن يزيد المكي أبو عبد الرحمن المقرىء البصري المولد أو الأهواز ثقة فاضل، أقرأ القرآن نيفاً وسبعين سنة، التقريب.

أبي صخر، عن يزيد بن عبدالله بن قسيط، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام» ولا شك أن ظاهر هذا الحديث مفارقة الروح لبدنه الشريف في بعض الأوقات، وهو مخالف للأحاديث السابقة، وقد تأملته ففتح عليّ في الجواب عدة أجوبة:

الأول ـ وهو أضعفها ـ أن الراوي وهم في لفظة من الحديث حصل بسببها الإشكال، وقد ادعى ذلك العلماء في أحاديث كثيرة لكن الأصل خلاف ذلك، فلا يعول على هذه الدعوى.

الثاني ـ وهو أقواها ولا يدركه إلا ذو باع في العربية ـ أن قوله: رد الله جملة حالية وقاعدة العربية أن جملة الحال إذا وقعت فعلاً ماضياً قدرت فيها قد، كقوله تعالى: ﴿**جاؤكم حصرت صدورهم**﴾[1] ـ أي قد حصرت، وكذا هنا تقدر، والجملة ماضية سابقة على السلام الواقع من كل أحد وحتى، ليست للتعليل، بل هو مجرد حرف عطف بمعنى الواو، فصار تقدير الحديث: ما من أحد يسلم عليّ إلا قد رد الله عليّ روحي قبل ذلك وأردّ عليه: وإنما جاء الإشكال من ظن أن جملة رد الله، بمعنى الحال أو الاستقبال، وظن أن حتى، تعليلة، وليس كذلك؛ وبهذا الذي قررناه ارتفع الإشكال من أصله، وأيده من حيث المعنى أن الرد لو أخذ بمعنى الحال أو الاستقبال لزم تكرره عند تكرار المسلمين السلام، وتكرار الرد يستلزم تكرار المفارقة، وتكرار المفارقة يلزم عليه محذوران:

أحدهما: تألم الجسد الشريف بتكرار خروج الروح منه، أو نوع ما يخالفه التكريم إن لم يكن تأليم.

والآخر يخالفه شأن الشهداء وغيرهم، فإنه لم يثبت لأحد منهم أن يتكرر له مفارقة الروح وعودها في البرزخ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالاستمرار الذي هو أعلى رتبة.

---

(١) النساء الآية: ٩٠.

ومحذور ثالث وهو مخالفة القرآن، فإنه دل على أنه ليس إلا موتتان وحياتان، وهذا التكرار يستلزم موتات كثيرة وهو باطل.

ومحذور رابع وهو مخالفة الأحاديث المتواترة السابقة، وما خالف القرآن والمتواتر من السنة وجب تأويله، وإن لم يقبل التأويل كان باطلاً؛ فلهذا وجب حمل الحديث على ما ذكرناه.

الوجه الثالث أن يقال: إن لفظ الرد، قد لا يدل على المفارقة بل كنى به عن مطلق الصيرورة، كما قيل في قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام: **﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم﴾**[1]، إن لفظ «العود» أريد به مطلق الصيرورة لا العود بعد الانتقال، لأن شعيباً عليه السلام لم يكن في ملتهم قط؛ وحسن استعمال هذا اللفظ في هذا الحديث مراعاة للمناسبة اللفظية بينه وبين قوله: حتى أردّ عليه السلام، فجاء لفظ «الرد»، في صدر الحديث لمناسبة ذكره في آخر الحديث.

الوجه الرابع ـ وهو قوي جداً ـ إنه ليس المراد بردّ الروح عودها بعد مفارقة البدن، وإنما النبي صلى الله عليه وآله وسلم في البرزخ مشغول بأحوال الملكوت مستغرق في مشاهدة ربه، كما كان في الدنيا في حالة الوحي، وفي أوقات أخر، فعبر عن إفاقته من تلك المشاهدة وذلك الاستغراق بردّ الروح، ونظير هذا قول العلماء في اللفظة التي وقعت في بعض أحاديث الإسراء وهي قوله: «فاستيقظت وإذا بالمسجد الحرام» ليس المراد الاستيقاظ من نوم فإن الإسراء لم يكن مناماً وإنما المراد الإفاقة مما خامره من عجائب الملكوت؛ وهذا الجواب الآن عندي أقوى ما يجاب به عن لفظة الرد، وقد كنت رجحت الثاني، ثم قوي عندي هذا.

الوجه الخامس: أن يقال: إن الرد يستلزم الاستمرار له، لأن الزمان لا يخلو من مصل عليه في أقطار الأرض، فلا يخلو من كون الروح في بدنه.

---

(١) الأعراف الآية: ٨٩.

والوجه السادس: قد يقال إنه أوحي إليه هذا الأمر أولاً قبل أن يوحى إليه بأنه لا يزال حياً في قبره فأخبر به، ثم أوحي إليه بعد ذلك، فلا منافاة لتأخر الخبر الثاني عن الخبر الأول.

هذا ما فتح الله تعالى لي من الأجوبة، ولم أر شيئاً منها منقولاً لأحد، ثم بعد كتابتي لذلك راجعت كتاب الفخر المنير فيما فضل به البشير النذير للشيخ تاج الدين ابن الفاكهاني المالكي فوجدته قال فيه ما نصه: روينا في الترمذي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من أحد يسلم عليّ إلاّ ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام». يؤخذ من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حي على الدوام، وذلك أنه محال عادة أن يخلو وجود كل زمان من واحد مسلّم على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ليلاً ونهاراً.

فإن قلت: قوله عليه الصلاة والسلام: ردّ الله عليّ روحي، لا يلتئم مع كونه حياً على الدوام، بل يلزم منه أن يتعدد حياته ومماته في أقل من ساعة، إذ الوجود لا يخلو من مسلّم يسلّم عليه كما تقدم، بل يتعدد السلام عليه في الساعة الواحدة كثيراً.

فالجواب ـ والله أعلم! أن يقال: المراد بالروح هنا النطق مجازاً، فكأنه قال عليه الصلاة والسلام: إلا رد الله إليّ نطقي، وهو حي على الدوام لكن لا يلزم من حياته نطقه، والله سبحانه يردّ عليه النطق عند سلام كل مسلّم؛ وعلاقة المجاز أن النطق من لوازم وجود الروح، كما أن الروح من لازمة وجود النطق بالفعل أو القوة، فعبر عليه السلام بأحد المتلازمين عن الآخر.

وربما تحقق ذلك أن عود الروح لا يكون إلا مرتين عملاً بقوله تعالى: ﴿**قالوا ربنا أمتنا ثنتين وأحييتنا اثنتين**﴾[1] ـ هذا لفظ كلام الشيخ تاج الدين.

وهذا الذي ذكره من الجواب ليس واحداً من الستة التي ذكرتها، وهو إن

(١) غافر الآية: ١١.

سلم فجواب سابع، وعندي فيه وقفة من حيث أن ظاهره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كونه حياً في البرزخ يمنع عنه النطق في بعض الأوقات ويردّ عند سلام المسلّم عليه، وهذا بعيد جداً، بل ممنوع فإن العقل والنقل يشهدان بخلافه:

أما النقل فالأخبار الواردة عن حاله صلى الله عليه وآله وسلم وحال الأنبياء عليهم السلام في البرزخ مصرحة بأنهم ينطقون كيف شاؤوا ولا يمنعون من شيء، بل وسائر المؤمنين وكذلك الشهداء وغيرهم ينطقون في البرزخ بما شاؤوا غير ممنوعين من شيء، ولم يرو أن أحداً يمنع من النطق في البرزخ إلا من مات من غير وصية:

روى أبو الشيخ في كتاب الوصايا عن قيس بن قبيصة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى، قيل: يا رسول الله! وهل يتكلم الموتى؟ قال: نعم، ويتزاورون».

وقال الشيخ تقي الدين السبكي: حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا، ويشهد له صلاة موسى ـ عليه السلام ـ في قبره، فإن الصلاة تستدعي جسداً حياً، وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام، ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب، وأما الإدراكات كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى ـ انتهى.

وأما العقل فلأن الحبس عن النطق في بعض الأوقات نوع حصر وتعذيب ولهذا عذب به تارك الوصية، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم منزه عن ذلك، فلا يلحقه بعد وفاته حصر أصلاً بوجه من الوجوه، كما قال لفاطمة رضي الله تعالى عنها في مرض وفاته: «لا كربة على أبيك بعد اليوم».

وإذا كان الشهداء وسائر المؤمنين من أمته إلا من استثنى من المعذبين لا يحصرون بالمنع من النطق، فكيف به صلى الله عليه وآله وسلم! نعم، يمكن أن

ينزع من كلام الشيخ تاج الدين جواب آخر ويقرر بطريق أخرى، وهو أن يراد بالروح النطق وبالرد الاستمرار من غير مفارقة على ما قررته في الوجه الثالث، ويكون في الحديث على هذا مجازان: مجاز في لفظ الرد، ومجاز في لفظ الروح، فالأولى استعارة تبعية والثاني مجاز مرسل؛ وعلى ما قررته في الوجه الثالث يكون فيه مجاز واحد في الرد فقط.

ويتولد من هذا الجواب جواب آخر، وهو أن يكون الروح كناية عن السمع ويكون المراد أن الله تعالى يرد عليه سمعه الخارق للعادة بحيث يسمع سلام المسلّم، وإن بعد قطره ويرد عليه من غير احتياج إلى واسطة مبلغ، وليس المراد سمعه المعتاد، وكان له صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا حالة يسمع فيها سمعاً خارقاً للعادة، بحيث كان يسمع أطيط السماء كما بينت ذلك في كتاب المعجزات، وهذا قد ينفك في بعض الأوقات ويعود ولا مانع منه، وحالته صلى الله عليه وآله وسلم في البرزخ كحالته في الدنيا سواء.

وقد يخرج من هذا جواب آخر، وهو أن المراد سمعه المعتاد، ويكون المراد بردّه إفاقته من الاستغراق الملكوتي، وما هو فيه من المشاهدة، فيردّه الله تعالى تلك الساعة إلى خطاب من يسلّم عليه في الدنيا، فإذا فرغ من الردّ عليه عاد إلى ما كان فيه.

ويخرج من هذا جواب آخر، وهو أن المراد بردّ الروح التفرغ من الشغل وفراغ البال مما هو بصدده في البرزخ من النظر في أعمال أمته، والاستغفار لهم من السيئات، والدعاء بكشف البلاء عنهم، والتردد في أقطار الأرض لحلول البركة فيها، وحضور جنازة من مات من صالحي أمته؛ فإن هذه الأمور من جملة أشغاله في البرزخ كما وردت بذلك الأحاديث والآثار، فلما كان السلام عليه من أفضل الأعمال وأجل القربات اختص المسلّم عليه بأن يفرغ له من أشغاله المهمة لحظة يردّ عليه فيها تشريفاً له ومجازاة. فهذه عشرة أجوبة كلها من استنباطي، وقد قال الجاحظ: إذا نكح الفكر الحفظ ولد العجائب.

ثم ظهر لي جواب حادي عشر، وهو أنه ليس المراد بالروح روح الحياة بل الارتياح كما في قوله تعالى: ﴿فروح وريحان﴾[1]، فإنه قرىء فرُوح ـ بضم الراء، والمراد أنه صلى الله عليه وآله وسلم يحصل له بسلام المسلّم عليه ارتياح وفرح وبشاشة لحبه صلى الله عليه وآله وسلم لذلك فيحمله ذلك على أن يردّ عليه.

ثم ظهر لي جواب ثاني عشر، وهو أن المراد بالروح الرحمة الحادثة من ثواب الصلاة، وقال ابن الأثير في النهاية[2]: تكرر ذكر الروح في الحديث كما تكرر في القرآن ووردت فيها على معان فالغالب منها أن المراد بالروح الذي يقوم به الجسد، وقد أطلق على القرآن والوحي والرحمة وعلى جبريل ـ انتهى.

وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قرأ عليه قوله تعالى: ﴿فرُوح وريحان﴾ ـ بالضم، وقال: الروح الرحمة، وقد تقدم عنه صلى الله عليه وآله وسلم في حديث أنس رضي الله عنه أن الصلاة تدخل عليه صلى الله عليه وآله وسلم في قبره كما يبلغ لكم الهدايا والثواب، والمراد ثواب الصلاة وذلك رحمة الله وإنعاماته.

ثم ظهر لي جواب آخر ثالث عشر، وهو أن المراد بالروح الملك الذي وكل بقبره صلى الله عليه وآله وسلم يبلغه السلام، والروح يطلق على جبريل أيضاً من الملائكة، قال الراغب: أشراف الملائكة تسمى أرواحاً ـ انتهى؛ ومعنى ردّ الله إليّ روحي، أي بعث إليّ الملك الموكّل يبلغني السلام؛ هذا غاية ما ظهر لي والله أعلم ـ انتهى.

تنبيه

وقع في كلام الشيخ تاج الدين أمران يحتاجان إلى التنبيه عليهما: **أحدهما**:

(١) الواقعة الآية: ٨٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث للإمام الشيخ أبي السعادات مبارك بن أبي الكرم محمد المعروف بابن الأثير الجزري توفي في العام ٦٠٦ هـ.

أنه عزا الحديث إلى الترمذي وهو غلط، فلم يخرجه من أصحاب الكتب الستة إلا أبو داود فقط كما ذكره الحافظ جمال الدين المزي[1] في الأطراف. **الثاني**: أنه أورد الحديث بلفظ «ردّ الله عليّ» وهو كـذلك في سنن أبي داود، ولفظ روايـة البيهقي «ردّ الله إليّ» وهو ألطف وأنسب، فإن بين التعديتين فرقاً لطيفاً، فإن رد، يعدى بعلى في الإهانة وبإلى في الإكرام، قال في الصحاح: ردّ عليه الشيء إذا لم يقبله، وكذا ردّ عليه إذا أخطأه، ويقال: رده إلى منزله ورد إليه جواباً أي رجع.

وقال الراغب: من الأول قوله تعالى: **﴿يردوكم على أعقٰبكم﴾**[2] و **﴿ردّوها علي﴾**[3] **﴿نرد على أعقابنا﴾**[4]: ومن الثاني: **﴿فـرددنٰه إلى أمـه﴾**[5] **﴿ولئن رددت إلى ربي لأجـدن خيـراً منهـا منقلبـاً﴾**[6]، **﴿ثم تـردون إلى عٰلم الغيب والشهٰدة﴾**[7] **﴿ثم ردوا إلى الله مولٰهم الحق﴾**[8].

فصل

قال الراغب: من معاني الرد التفويض، يقال: رددت الحكم في كذا إلى فلان أي فوضتـه إليه، قـال الله تعالى: **﴿فـإن تنٰزعتم في شيء فـردوه إلى الله والرسول﴾**[9]، **﴿وردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم﴾**[10] ـ انتهى.

ويخرج من هذا جواب رابع عشر عن الحديث، وهو أن المراد فوض الله

(١) المتوفى في العام ٧٤٢ هـ.
(٢) آل عمران الآية: ١٤٩.
(٣) ص الآية: ٣٣.
(٤) الأنعام الآية: ٧١.
(٥) القصص الآية: ١٣.
(٦) الكهف الآية: ٣٦.
(٧) إبراهيم الآية: ٩٤.
(٨) الأنعام الآية: ٦٢.
(٩) النساء الآية: ٥٩.
(١٠) النساء الآية: ٨٣.

إليّ رد السلام عليه على أن المراد بالروح الرحمة والصلاة من الله رحمة، وكأن المسلم بسلامه تعرض لطلب صلاة من الله تحقيقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً.» والصلاة من الله رحمة، ففوض الله أمر هذه الرحمة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليدعو به المسلم فيحصل إجابته قطعاً، فتكون الرحمة الحاصلة للمسلم إنما هي بركة دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسلامه عليه، وينزل ذلك منزلة الشفاعة في قبول سلام المسلم والإثابة عليه، وتكون الإضافة، في روحي، لمجرد الملابسة، ونظيره قوله في حديث الشفاعة: فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ينتهي إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي حديث الإسراء: لقيني ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا في أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى موسى فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى عيسى.

والحاصل أن معنى الحديث على هذا الوجه إلا فوض الله إليّ أمر الرحمة التي تحصل للمسلم بسببي، فأتولى الدعاء بها بنفسي بأن أنطقْ بلفظ السلام على وجه الرد عليه في مقابلة سلامه والدعاء به.

ثم ظهر لي جواب خامس عشر، وهو أن المراد بالروح الرحمة التي في قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أمته والرأفة التي جبل عليها، وقد يغضب في بعض الأحيان على من عظمت ذنوبه وانتهك محارم الله تعالى، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبب لمغفرة الذنوب، كما ورد في الحديث: إذاً يكفي همك ويغفر ذنبك، فأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أنه ما من أحد يسلّم عليه وإن بلغت ذنوبه ما بلغت إلا رجعت إليه الرحمة التي جبل عليها حتى يرد عليه السلام بنفسه، ولا يمنعه من الرد عليه ما كان منه قبل ذلك من ذنب.

وهذه فائدة نفيسة وبشرى عظيمة، وتكون هذه فائدة زيادة من، الاستغراقية

في حد النفي الذي هو ظاهر في الاستغراق، فزيادتها نص فيه بعد زيادتها بحيث انتفى بسببها أن يكون العام المراد به الخصوص.

هذا آخر ما فتح الله تعالى به الآن من الأجوبة، وإن فتح بعد ذلك بزيادة ألحقناها ـ والله الموفق.

ثم بعد ذلك رأيت الحديث المسؤول عنه مخرّجاً في كتاب حياة الأنبياء للبيهقي بلفظ: «إلّا وقد ردّ الله عليّ روحي» فصرح فيه بلفظ وقد، فحمدت الله كثيراً وقوي أن رواية إسقاطها محمولة على إضمارها وإن حذفها تصرف الرواة، وهو الأمر الذي جنحت إليه في الوجه الثاني من الأجوبة، وقد عرف الآن ترجيحه لوجود هذه الرواية، فهو أقوى الأجوبة. ومراد الحديث عليه الإخبار بأن الله تعالى يرد إليه روحه بعد الموت على الدوام فيصير حياً على الدوام حتى لو سلّم عليه أجد ردّ عليه السلام لوجود الحياة فيه، فصار الحديث موافقاً للأحاديث الواردة في حياته في قبره وواحداً من جملتها لا منافي لها البتة بوجه من الوجوه ـ ولله الحمد والمنة.

وقد قال بعض الحفاظ: لو لم نكتب الحديث من ستين وجهاً لما عقلناه، وذلك لأن الطرق يزيد بعضها على بعض تارة في ألفاظ المتن وتارة في الإسناد، فيكشف من الطريق المزيدة ما خفي في الطريق الناقصة ـ والله أعلم.

وقد تم كتاب إنباه الأذكياء في حياة الأنبياء، والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه[1] وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) وتوافقاً مع مضمون الكتاب ورد بهامش المطبوع: بالصواب وصلى الله الحي القيوم على النبي الحي الباقي وآله وأصحابه وسلم عدد كل معلوم الله في كل لحظة والله أعلم.

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

مطابع يوسف بيضون
بيروت - هاتف: ٨٣٧٦٦٧ - ٨٣٧٤٤٩ - ٤٦٠٧٤٣